مقررات معهد
المنهج الدراسي الميسر

رسالة شرعية عالمية
معهد المنهج الدراسي الميسر

الفوائد والمسائل على الأصول الستة

للشيخ محمد بن عبد الوهاب النجدي رحمه الله تعالى

يحتوي على ٤٦ مسألة مع فوائد أخرى

تأليف

أبي عبد الله محمد المصنعي

وفقه الله تعالى


رسالة شرعية عالمية
معهد المنهج الدراسي الميسر
من المستــوى الأول إلى الثــاني عشــر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله الكريم المنَّان، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ، أما بعد:

فهذا شرحٌ لرسالة (الأصول الستة).

وشرحته بأسلوب يختلف عن أسلوب شرح القواعد الأربع؛ تنويعاً للفائدة، وترسيخاً للمعلومة، وتمريناً للطلبة.

والحمد لله أولاً وآخراً، وظاهراً وباطناً، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

اليمن - دار الحديث معبر

١٤٣٢هـ

****

متن الأصول الستة

بسم الله الرحمن الرحيم

[مقدمة المؤلف]

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيْمِ

مِنْ أَعْجَبِ الْعُجَابِ، وَأَكْبَرِ الآيَاتِ الدَّالَةِ عَلَى قُدْرَةِ الْمُلِكِ الْغَلَّابِ سِتَّةُ أُصُوْلٍ بَيَّنَهَا اللهُ تَعَالَى بَيَانًا وَاضِحًا لِلْعَوَامِّ فَوْقَ مَا يَظُنُّ الظَّانُّوْنَ، ثُمَّ بَعْدَ هَذَا غَلِطَ فَيْهَا كَثِيرٌ مِنْ أَذْكِيَاءِ الْعَالَمِ وَعُقَلَاءِ بَنِيْ آدَمَ إِلَّا أَقَلَّ الْقَلِيْلِ.

****

الأصل الأول

إِخْلَاصُ الدِّيْنِ لله تَعَالَى وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لهُ، وَبَيَانُ ضِدِّهِ الذِيْ هُوَ الشِّرْكُ بِالله، وَكَوْنُ أَكْثَرِ الْقُرْآنِ فِي بَيَانِ هَذَا الْأَصْلِ مِنْ وُجُوْهٍ شَتَّى بِكَلَامٍ يَفْهَمُهُ أَبْلَدُ الْعَامَّةِ، ثُمَّ لَمَّا صَارَ عَلَى أَكْثَرِ الْأُمَّةِ مَا صَارَ؛ أَظْهَرَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ الْإِخْلَاصَ فِي صُوْرَةِ تَنَقُّصِ الصَّالِحِيْنَ وَالتَّقْصِيْرِ فِي حُقُوْقِهِمْ، وَأَظْهَرَ لَهُمُ الشِّرْكَ بِالله فِي صُوْرَةِ مَحَبَّةِ الصَّالِحِيْنَ وأَتْبَاعِهِم.

****

الأصل الثاني

أَمَرَ اللهُ بِالاجْتِمَاعِ فِي الدِّيْنِ وَنَهَى عَنِ التَّفَرُّقِ فِيهِ، فَبَيَّنَ اللهُ هَذَا بَيَانًا شَافِيًا تَفْهَمُهُ الْعَوَامُّ، وَنَهَانَا أَنْ نَكُوْنَ كَالذِيْنَ تَفَرَّقُوْا وَاخْتَلَفُوْا قَبْلَنَا فَهَلَكُوْا، وَذَكَرَ أَنَّهُ أَمَرَ الْمُسْلِمِيْنَ بِالاجْتِمَاعِ فِي الدِّيْنِ وَنَهَاهُمْ عَنِ التَّفَرُّقِ فِيْهِ، وَيَزِيْدُهُ وُضُوْحًا مَا وَرَدَتْ بِهِ السُّنَّةُ مِنَ الْعَجَبِ الْعُجَابِ فِي ذَلِكَ، ثُمَّ صَارَ الْأَمْرُ إِلَى أَنَّ الافْتِرَاقَ فِي أُصُوْلِ الدِّيْنِ وَفُرُوْعِهِ هُوَ الْعِلْمُ وَالْفِقْهُ فِي الدِّيْنِ، وَصَارَ الْأَمْرُ بِالاجْتِمَاعِ فِي الدِّينِ لَا يَقُوْلُهُ إِلَّا زِنْدِيْقٌ أَوْ مَجْنُوْنٌ.



الأصل الثالث

أَنَّ مِنْ تَمَامِ الاجْتِمَاعِ السَّمْعَ وَالطَّاعَةَ لِمَنْ تَأَمَّرَ عَلَيْنَا وَلَوْ كَانَ عَبْدًا حَبَشِيًّا، فَبَيَّنَ النَبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ هَذَا بَيَانًا شَافيًا كافِيًا بِكُلِّ وَجْهٍ مِنْ أَنْوَاعِ الْبَيَانِ شَرْعًا وَقَدَرًا، ثُمَّ صَارَ هَذَا الْأَصْلُ لَا يُعْرَفُ عِنْدَ أَكْثَرِ مَنْ يَدَّعِيْ الْعِلْمَ فَكَيْفَ الْعَمَلُ بِهِ؟!



الأصل الرابع

بَيَانُ الْعِلْمِ وَالْعُلَمَاءِ، وَالْفِقْهِ وَالْفُقَهَاءِ، وَبَيَانُ مَنْ تَشَبَّهَ بِهِمْ وَلَيْسَ مِنْهُمْ، وَقَدْ بَيَّنَ اللهُ تَعَالَى هَذَا الْأَصْلَ فِيْ أَوَّلِ سُوْرَةِ الْبَقَرَةِ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ﴾ الآية [البقرة:٤٠]، إِلَى قَوْلِهِ قَبْلَ ذِكْرِ إِبْرَاهِيْمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ الآية [البقرة:٤٧]. وَيَزِيْدُهُ وُضُوْحًا مَا صَرَّحَتْ بِهِ السُّنَّةُ فِيْ هَذَا مِنَ الْكَلَامِ الْكَثِيْرِ الْبَيِّنِ الْوَاضِحِ لِلْعَامِّيِّ الْبَلِيْدِ، ثُمَّ صَارَ هَذَا أَغْرَبَ الْأَشْيَاءِ، وَصَارَ الْعِلْمُ وَالْفِقْهُ هُوَ الْبِدَعُ وَالضَّلَالَاتُ، وَخِيَارُ مَا عِنْدَهُمْ لَبْسُ الْحَقِّ بِالْبَاطِلِ، وَصَارَ الْعِلْمُ الذِيْ فَرَضَهُ اللهُ تَعَالَى عَلَى الْخَلْقِ وَمَدَحَهُ لَا يَتَفَوَّهُ بِهِ إِلَّا زِنْدِيْقٌ أَوْ مَجْنُوْنٌ، وَصَارَ مَنْ أَنْكَرَهُ وَعَادَاهُ وَصَنَّفَ فِيْ التَّحْذِيْرِ مِنْهُ وَالنَّهْيِ عَنْهُ هُوَ الْفَقِيْهُ الْعَالِمُ.

****

الأصل الخامس

بَيَانُ اللهِ سُبْحَانَهُ لِأَوْلِيَاءِ اللهِ وَتَفْرِيْقُهُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْمُتَشَبِّهِيْنَ بِهِمْ مِنْ أَعْدَاءِ اللهِ وَالْمُنَافِقِيْنَ وَالْفُجَّارِ، وَيَكْفِيْ فِيْ هَذَا آيَةٌ فِيْ آلِ عُمْرَانَ وَهِيَ قَوْلُهُ: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ﴾ الآية [آل عمران:٣١]، وَآيَةٌ فِيْ الْمَائِدَةِ وَهِيَ قَوْلُهُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ الآية [المائدة:٥٤]، وَآيَةٌ فِيْ يُوْنُسَ وَهِيَ قَوْلُهُ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ٦٣﴾ [يونس:٦٢-٦٣]، ثُمَّ صَارَ الْأَمْرُ عِنْدَ أَكْثَرِ مَنْ يَدَّعِيْ الْعِلْمَ وَأَنَّهُ مِنْ هُدَاةِ الخَلْقِ وَحُفَّاظِ الشَّرْعِ ، إِلَى أَنَّ الْأَوْلِيَاءَ لَا بُدَّ فِيْهِمْ مِنْ تَرْكِ اتِّبَاعِ الرُّسُلْ وَمَنْ تَبِعَهُمْ فَلَيْسَ مِنْهُمْ، وَلَابُدَّ مِنْ تَرْكِ الْجِهَادِ، فَمَنْ جَاهَدَ فَلَيْسَ مِنْهُمْ! وَلَابُدَّ مِنْ تَرْكِ الْإِيمَانِ وَالتَّقْوَى! فَمَنْ تَقَيَّدَ بِالإِيْمَانِ وَالتَّقْوَى، فَلَيْسَ مِنْهُم!

يَا رَبَّنَا نَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ إِنَّكَ سَمِيْعُ الدُّعَاءِ.

****

الأصل السادس

رَدُّ الشُّبْهَةِ التِيْ وَضَعَهَا الشَّيْطَانُ فِيْ تَرْكِ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ وَاتِّبَاعِ الْآرَاءِ وَالْأَهْوَاءِ الْمُتَفَرِّقَةِ الْمُخْتَلِفَةِ، وَهِيَ - أَيْ الشُّبْهَةِ التِيْ وَضَعَهَا الشَّيْطَانُ هِيَ - أَنَّ الْقُرْآنَ وَالسُّنَّةَ لَا يَعْرِفُهُمَا إِلَّا الْمُجْتَهِدُ الْمُطْلَقُ. وَالْمُجْتَهِدُ هُوَ الْمَوْصُوْفُ بِكَذَا وَكَذَا أَوْصَافًا لَعَلَّهَا لَا تُوْجَدُ تَامَّةً فِيْ أَبِيْ بَكْرٍ وَعُمَرَ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ الْإِنْسَانُ كَذَلِكَ فَلْيُعْرِضْ عَنْهُمَا فَرْضًا حَتْمًا لَا شَكَّ وَلَا إِشْكَالَ فِيْهِ، وَمَنْ طَلَبَ الْهُدَى مِنْهُمَا فَهُوَ إِمَّا زِنْدِيْقٌ، وَإِمَّا مَجْنُوْنٌ لِأَجْلِ صُعُوْبَتِهِمَا.

فَسُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ: كَمْ بَيَّنَ اللهُ سُبْحَانَهُ شَرْعًا وَقَدَرًا، خَلْقًا وَأَمْرًا فِي رَدِّ هَذِهِ الشُّبْهَةِ الْمَلْعُوْنَةِ مِنْ وُجُوْهٍ شَتَّى بَلَغَتْ إِلَى حَدِّ الضَّرُوْرِيَّاتِ الْعَامَّةِ، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف:١٨٧]، ﴿لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٧ إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ۝٨ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ۝٩ وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝١٠ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ ۖ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ۝١١﴾ [يس:٧-١١]

آخِرُهُ، وَالْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِيْنَ، وَصَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيْمًا كَثِيْرًا إِلَى يَوْمِ الدِّيْنِ. تَمَّتْ بِحَمْدِ اللهِ.



بسم الله الرحمن الرحيم

[مقدمة المؤلف]

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيْمِ

مِنْ أَعْجَبِ الْعُجَابِ، وَأَكْبَرِ الآيَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى قُدْرَةِ الْمُلِكِ الْغَلَّابِ سِتَّةُ أُصُوْلٍ بَيَّنَهَا اللهُ تَعَالَى بَيَانًا وَاضِحًا لِلْعَوَامِّ فَوْقَ مَا يَظُنُّ الظَّانُّوْنَ، ثُمَّ بَعْدَ هَذَا غَلِطَ فِيْهَا كَثِيرٌ مِنْ أَذْكِيَاءُ الْعَالَمِ وَعُقَلَاءِ بَنِيْ آدَمَ إِلَّا أَقَلَّ الْقَلِيْلِ.

- مفردات المقدمة:

(العجب): استغراب ما يرد عليك لقلة اعتياده، أو لعظمة موقعه.

وسببه: خروج الشيء عن نظائره. (العُجاب): مبالغة في العجب.

(الغلاب): ليس من أسماء الله تعالى.

(أصول) جمع أصل، وهو القاعدة الجامعة لمسائل كثيرة.

(العوام): جمع عامي، ومراد الشيخ به: الجاهل الذي لا علم له.

والعامي يصح إطلاقه على مَنْ لا قدرة له على فهم الأدلة، واستنباط الأحكام منها.

ثم كل إنسانٍ عامي بالنسبة للعلوم التي لا يعلمها ولو كان مبرزاً في غيره.

-المعنى الإجمالي:

يتعجَّب الشيخ رحمه الله تعالى من حال أكثر الناس في زمانه، ويشتد عجبه مما صاروا إليه من الغلط والجهل بأمور وضحها الله تعالى في كتابه وسنة رسوله ﷺ غاية التوضيح والبيان بأساليب كثيرة فوق ما يحتاجون إليه، وذلك من آيات الله تعالى الكونية، إذ طبع على قلوب كثير من الناس فهم لا يعقلون.

- المسائل:

المسألة الأولى: ابتدأ المؤلف رسالته بالبسملة اقتداءً بكتاب الله الكريم وسنة النبي الأمين عليه الصلاة والسلام وإجماع السلف الصالح.

قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣٠﴾ [النمل: ٣٠].

وكان النبي ﷺ يبدأ بالبسملة، وأجمع الصحابة على كتابتها في أول المصحف وأول السور خلا براءة.

وقال الحافظ رحمه الله تعالى: «وقد استقر عمل الأئمة المصنفين على افتتاح كتب العلم بالبسملة، وكذا معظم كتب الرسائل»(١).

المسألة الثانية: في معنى البسملة:

(بسم الله): الباء حرف جر يفيد معنى الاستعانة، فـ(بسم الله): أستعين بالله، (الله) لفظ الجلالة: العلم الدال على ذات الرب، المتضمن جميع معاني الأسماء والصفات.

وهو مشتق من الإله والألوهية، فهو المألوه بحق، أي: المعبود الحق سبحانه وتعالى.

(الرحمن): المتصف بالرحمة الواسعة، ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [الأعراف:١٥٦].

(الرحيم): ذو الرحمة الواصلة إلى الخلق، وذو الرحمة الخاصة بالمؤمنين.

* ورحمته بالخلق عامة وخاصة:

فالعامة: تشمل المؤمن والكافر، وهي جميع النعم الدنيوية؛ الظاهرة والباطنة.

والخاصة: رحمته بالمؤمنين بالهداية والتوفيق والسداد والمغفرة والتوبة.

وكل عبدٍ له من رحمة اله تعالى بقدر علمه وعمله وصدقه وتقواه.

اللهم ارحمنا وأنت خير الراحمين.

---

(١) [«الفتح» (١/ ١١)].

المسألة الثالثة: اشتمال البسملة على أنواع التوحيد:

(بسم الله): فيها توحيد الألوهية؛ لأن الاستعانة بالله تعالى من توحيد الألوهية، وكذلك لفظ الجلالة (الله) معناه: المعبود الحق وحده لا شريك له، وهذا هو توحيد الألوهية.

(الرحمن الرحيم): أسماء متضمنة صفات كمال كما يليق بالباري جل وعلا، وهذا هو توحيد الأسماء والصفات (إفراد الله تعالى في أسمائه وصفاته كما يليق بجلاله)، فلا مثيل له ولا نظير.

وأما توحيد الربوبية: فلأن المعبود بحق والموصوف بصفات الكمال هو الرب سبحانه وتعالى وحده، ولا شريك له، فتوحيد الألوهية وتوحيد الأسماء والصفات دالَّان على توحيد الربوبية.

المسألة الرابعة: في أقسام العجب:

* ينقسم العَجَب إلى قسمين:

الأول: تعجبٌ يُراد به الإنكار؛ كقوله تعالى: ﴿وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡۖ وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٞ كَذَّابٌ﴾ [سورة ص:٤]

الثاني: تعجب يكون للرضا عن الشيء [فالرضا والإنكار من لوازم التعجب]، وهذا كقوله ﷺ لأبي طلحة رضي الله عنه: «لقد عجب الله من صنيعكما بضيفكم البارحة»، متفق عليه[(١)] عن أبي هريرة رضي الله عنه.

* وسبب العجب أمران:

الأول: خَفَاء الأسباب على المتعجب، فيندهش إذا رأى ما خرج عما أَلِفه، وهذا مستحيل في حق الله تعالى؛ لأن الله تعالى لا يخفى عليه شيء، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾ [الأنفال:٧٥].

(١) البخاري (٤٨٨٩)، مسلم (٢٠٥٤).

الثاني: أن يكون سببه خروج الشيء عن نظائره أو عن ما هو معتاد منه، أو عما ينبغي أن يكون عليه مع علم المتعجب به وبأسبابه، وهذا ثابت لله تعالى كما يليق بجلاله كما في الحديث السابق(١).

والذي قصده المؤلف من تعجُّبه: الإنكار على من بلغ به الجهل إلى الحد الذي صار لا يفهم الأمور السهلة الواضحة في دينه.

المسألة الخامسة: في معنى قوله: (وأكبر الآيات الدالة على قدرة الملك الغلاب):

من آيات الله تعالى الكونية الدالة على قدرته سبحانه وتعالى: أنه يضل من يشاء ويهدي من يشاء لحكمة بالغة، وليس الهداية مرجعها إلى الذكاء والفطنة، بل الأمر راجع إلى الله تعالى، ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ [القصص:٥٦]، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة:٢٠].

المسألة السادسة: في شمولية الدين ويُسره:

فالدين قد جاء شاملاً لكل شيء: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [النحل:٨٩]، فالكتاب والسنة فيهما البيان الشافي لأمور الدين، لا سيما التوحيد والمتابعة والجماعة، والعلم وغير ذلك.

فالدين كامل وافٍ: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة:٣]، لا يحتاج أحد إلى بدعة، إذ في الكتاب والسنة ما يُغني عنها، فاتباع البدع بعد ذلك ضلال: «كل بدعة ضلالة»، رواه مسلم عن جابر رضي الله عنه(٢).

(١) [شرح اللمعة (ص٣٥)].

(٢) (٨٦٧).

المسألة السابعة: في كثرة أهل الباطل:

من سُنَّة الله تعالى في الأمم أن أهل الشرك والباطل أكثر من أهل التوحيد والحق، قال تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴾ [سبأ:١٣]، ﴿ وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ ﴾ [يوسف:١٠٣]، فهذه الأصول الواضحة التي ذكرها المؤلف غلط فيها كثير من الناس ممن يدَّعي الإسلام فضلاً عن غيرهم.

اللهم اعصمنا، وسلمنا يا رحيم.

فلا تغتر بكثرة المنحرفين عن الهدى، بل اثبت على الحق ولو كنت وحدك، فأهل الحق هم الغالبون، وهم المنصورون: ﴿ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ﴾ [الصافات:١٧٣].

المسألة الثامنة: التوفيق والهدى بيد الله تعالى، فاطلبه من الرب سبحانه وتعالى بأسبابه المشروعة.

واعلم أن ما بك من خير فهو نعمة الباري عليك، لم تحصل عليه بذكائك ولا بجهالك أو جاهك، فاحمده تعالى، وافرح بفضله عليك، وازدد له شكراً: ﴿ قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ ﴾ [يونس:٥٨]، أي: فرح شكر يزداد به العبد ثباتاً وطاعة وتوحيداً وملازمة للسنة.

وإذا علمت ذلك كله، فإنك تخاف على نفسك أن يزيغ قلبك كما زاغت قلوب الأكثرية، فالجأ إلى الله تعالى أن يثبِّتك: «يا مقلب القلوب ثبت قلبي على طاعتك»، «إنما الأعمال بالخواتيم»، فاجمع بين الرجاء في سعة رحمة الله تعالى والخوف من عقابه.

فلا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم، وحسبنا الله ونعم الوكيل، ونعوذ بالله من الحور بعد الكور، ومن سوء الخاتمة.

المسألة التاسعة : في أسباب الغلط في هذه الأصول وغيرها :

١- الجهل، فهو أساس كل شر، وقد يكون الشخص ذكياً معدوداً في القوم، لكنه جاهل جهلاً فظيعاً بالدين، والجهل قرين الشرك والبدع والعصيان، فلا ترى الجهل منتشراً في قوم إلا وجدت قرناءه هناك.

قال ﷺ في علامات الساعة: «يُرفع العلم، ويكثر الجهل، ويظهر الزنا، ويشرب الخمر...»، متفق عليه(١) عن أنس رضي الله عنه.

٢- قلة العلماء الناصحين، وكثرة علماء البدع والأهواء المفسدين: فإن ذلك من أسباب الجهل والفتن، وانظر إلى حال علماء الصوفية والرافضة والحزبية، كيف يقفون صفاً في محاربة دعاة التوحيد، وتعصُّبهم للدعوة الشركية والبدعية - إلا من رحم الله تعالى - وصدق فيهم حديث: «فاتخذ الناس رؤوساً جهالاً، فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلُّوا وأضلُّوا»، متفق عليه(٢) عن ابن عمرو رضي الله عنهما.

٣- التعصب والتقليد للزعماء والمنظِّرين والآباء:

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ﴾ [البقرة:١٧٠].

فالتعصب والتقليد يعميان البصيرة، ويطمسان القلب، ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف:٥].

٤- التشبه بالكفار والمنحرفين: كما قال تعالى: ﴿وَخُضْتُمْ كَٱلَّذِى خَاضُوٓا﴾ [التوبة:٦٩] في شأن المنافقين.

---

(١) (خ ٨٠) (م ٢٦٧١).

(٢) (خ ١٠٠) (٢٦٧٣).

وفي الحديث: «لو دخلوا جُحر ضبٍّ لدخلتموه»، متفق عليه[١] عن أبي سعيد رضي الله عنه.

٥- عدم القناعة التامة بالرجوع إلى الكتاب والسنة والاحتكام إليهما: وهذا هو شأن جمهور المبتدعة والقبورية وبعض أدعياء السلفية، كما قرره شيخ الإسلام وغيره.

****

(١) (خ ٣٤٥٦) (م ٢٦٦٩).

الأصل الأول

[الإخلاص]

إِخْلَاصُ الدِّيْنِ لله تَعَالَى وَحْدَهُ لَا شَرِيْكَ لهُ، وَبَيَانُ ضِدِّهِ الذِيْ هُوَ الشِّرْكُ بِالله، وَكَوْنُ أَكْثَرِ الْقُرْآنِ فِي بَيَانِ هَذَا الْأَصْلِ مِنْ وُجُوْهٍ شَتَّى بِكَلَامٍ يَفْهَمُهُ أَبْلَدُ الْعَامَّةِ، ثُمَّ لَمَّا صَارَ عَلَى أَكْثَرِ الْأُمَّةِ مَا صَارَ؛ أَظْهَرَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ الْإِخْلَاصَ فِي صُوْرَةِ تَنَقُّصِ الصَّالِحِيْنَ وَالتَّقْصِيْرِ فِي حُقُوْقِهِمْ، وَأَظْهَرَ لَهُمُ الشِّرْكَ بِالله فِي صُوْرَةِ مَحَبَّةِ الصَّالِحِيْنَ وأَتْبَاعِهِمْ.

مفردات الأصل الأول:

(الإخلاص): تنقية الشيء وتهذيبه مما نشب فيه حتى يصير صافياً.

(شتى): متعددة أو متنوعة. (البليد): الذي ليس بذكي، أو الذي لا يكاد يفهم.

المعنى الإجمالي:

من الأصول العظيمة التي بيَّنها الله تعالى بياناً شافياً: الإخلاص لله تعالى في العبادة، وتنقيتها من شوائب الشرك والبدع، كما بين صور الشرك ومعانيه وحجج أهله، وفنَّدها من طرق متعددة وأساليب متنوعة.

فلما انتشر الجهل والبدع عمل شياطين الجن والإنس على نشر الشرك بالغلو في الصالحين، والالتجاء إليهم بالدعاء والنذر ... إلخ، وسموا هذا الشرك: محبة وتعظيماً للصالحين، فإذا أنكر أحد عليهم الشرك وأمرهم بإخلاص العبادة لله تعالى وحده طعنوا في دعوته؛ بأنه يتنقَّص الصالحين لقوله لهم: لا تصرفوا العبادة للصالحين، إنما هي حق لله تعالى وحده، فلبَّسوا على الناس وقلبوا الحقائق.

المسائل:

الأولى: في معنى الإخلاص:

هو إفراد الله تعالى في ألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته، فهو بمعنى التوحيد وضدُّه الشرك.

ويقال: الإخلاص: إفراد الله تعالى بالقصد والعمل.

ويُقال: إفراد الله تعالى بالعبادة والبراءة من الشرك.

وهو بمعنى: التوحيد، وبمعنى: لا إله إلا الله، وبمعنى: الحنيفية.

قال الله تعالى: ﴿فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ [الزمر:٢]. وتفسيرها بقوله: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا﴾ [النساء:٣٦].

وكقوله: ﴿فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ﴾ [البقرة:٢٥٦].

نسأل الله الكريم أن يرزقنا الإخلاص في القول والعمل.

المسألة الثانية: أقسام الناس في الإخلاص والاتباع:

معلوم أن الله تعالى لا يقبل عمل عامل إلا بشرطين:

الأول: الإخلاص لله تعالى.

الثاني: الاتباع، وهو موافقة العمل للكتاب والسنة.

* والناس في هذين الأمرين أربعة أقسام، كما قرره ابن القيم في (المدارج):

١- من يجمع بين الإخلاص والاتباع، وهؤلاء هم المؤمنون.

٢- من عنده إخلاص وليس بمتبع، فهؤلاء كبعض أهل البدع المسلمين.

٣- من عنده اتباع وليس عنده إخلاص، كالمنافق المتظاهر بالإسلام.

٤- من لا إخلاص له ولا متابعة، وهؤلاء هم الكفار جملة.

الثالثة: التوحيد قول، وعمل، واعتقاد:

- قول: مثل قوله: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، والدعاء لله تعالى.

- وعمل: مثل الذبح لله تعالى، والصلاة لله تعالى، وسائر الأعمال التعبدية.

- واعتقاد: مثل اعتقاد وحدانية الله تعالى، والإخلاص لله تعالى، التوكل عليه.

فهو كالإيمان؛ قول، وعمل، واعتقاد، ولا يكون العبد موحداً حتى يجمع ذلك كله.

فمن عرف الله تعالى بقلبه ولم يعترف بلسانه لم يكن موحداً؛ كفرعون وإبليس.

وعكسه من عرف الله تعالى بلسانه، وأنكر بقلبه؛ كالمنافقين وهم كفار.

وأشد منهما من أنكر الله تعالى بقلبه ولسانه؛ كالدهرية، والشيوعية.

والموحِّد من جمع التوحيد بقلبه، ولسانه، وعمله.

وبهذا تعرف ضلال القبورية الذين يشركون بالقول والعمل؛ بالدعاء، والذبح، والنذر لغير الله تعالى، ثم يدَّعون أنهم موحدون بقلوبهم، وهذا مردود عليهم بما سبق، كيف إذا تحققت أنهم يعتقدون في معبوداتهم أشياء من صفات الرب سبحانه وتعالى؛ كالنفع، ودفع الضر، والتدبير، وغير ذلك، فما لهم لا يكادون يفقهون حديثاً.

الرابعة: في معنى الشرك وأقسامه:

الشرك: أن يُجعل العبد لله ندًّا في ألوهيته أو ربوبيته أو أسمائه وصفاته.

* وينقسم إلى قسمين:

١- شرك أكبر: كل قول أو عمل أو اعتقاد أطلق عليه الشرع وصف الشرك، وهو منافٍ للتوحيد منافاة مطلقة.

٢- شرك أصغر: كل قول أو عمل أطلق عليه الشرع وصف الشرك، لكنه لا ينافي التوحيد منافاة مطلقة، مثل: يسير الرياء، وقول: ما شاء الله وشاء فلان، والحلف بغير الله تعالى من غير تعظيم، ونحو ذلك.

ونعرف عدم منافاته للتوحيد منافاة مطلقة بالجمع بين الأدلة، والنظر فيها، وبمعرفة حال الشرك وصفته.

أما الشرك في الربوبية فهو قسمان: كبير وأكبر، وليس منه شيء مغفور[١].

والشرك في الأسماء والصفات كذلك، [غير أن بعض المعاصرين جعله أكبر وأصغر].

* والشرك في الألوهية قسمان:

أكبر: هو صرْف العبادة لغير الله تعالى، والقاعدة العامة في هذا: ما ثبت أنه عبادة فصرْفه لغير الله تعالى شرك أكبر؛ لأن العبادة حقٌّ محض لله تعالى.

وأصغر: هو ما سبق تعريفه قبل قليل.

وقد اختلف في الشرك الأصغر: هل يُغفر لمن مات عليه أم لابد من تعذيبه بقدر شركه، ثم مآله الجنة؟

فالأقرب ما عليه جمهور أهل العلم: أنه تحت مشيئة الله تعالى كسائر المعاصي، والله أعلم.

الخامسة: القرآن كله توحيد:

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: «كل آية في القرآن متضمنة للتوحيد، شاهدة به، داعية إليه.

فإن القرآن: إما خبر عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله، فهو التوحيد العلمي الخبري.

وإما دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له، وخلع كل ما يُعبد من دونه، فهو التوحيد الإرادي الطلبي.

وإما أمرٌ ونهي وإلزام بطاعته في نهيه وأمره، فهي حقوق التوحيد ومكملاته.

---

(١) صرح بهذا العلامة ابن القيم ومن المعاصرين الشيخ محمد الوصابي في (القول المفيد) الكبير، باب الشرك، (الشرك الاعتقادي)، والشيخ السدحان في (قواعد الفقه الكبرى) ص ٨٢، وغيرهم.

وإما خبر عن كرامة الله تعالى لأهل توحيده وطاعته، وما فعل بهم في الدنيا، وما يكرمهم به في الآخرة، فهو جزاء توحيده.

وإما خبر عن أهل الشرك وما فعل بهم في الدنيا من نكال، وما يحِلُّ بهم في العقبى من العذاب، فهو خبرٌ عمَّن خرج عن حكم التوحيد.

فالقرآن كله في التوحيد، وحقوقه، وجزائه، وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم»(١).

السادسة: أساليب الدعوة إلى التوحيد والنهي عن الشرك في القرآن الكريم والسنة:

١- الدعوة إلى إفراد الله تعالى بالعبادة، ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا﴾ [النساء:٣٦].

٢- الدعوة إلى الإخلاص لله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة:٥].

٣- النهي عن الشرك كله: قال تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَ لُقۡمَٰنُ لِٱبۡنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ١٣﴾ [سورة لقمان:١٣]، ﴿وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا﴾ [النساء:٣٦].

٤- بيان عاقبة المشركين: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُ﴾ [المائدة:٧٢].

٥- بيان نوعية شرك الأمم الذين أهلكهم الله تعالى ليعتبر من بعدهم ويحذروا فعلهم: ﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمۡ وَلَا تَذَرُنَّ وَدّٗا وَلَا سُوَاعٗا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسۡرٗا﴾ [نوح:٢٣].

فهؤلاء عبدوا الصالحين ووصفهم نوح بقول: ﴿لَا تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نوح:٢٦]، فسماهم كافرين؛ لأنهم عبدوا الصالحين وأصناماً في صور الصالحين، وقوم إبراهيم عبدوا الأصنام، وهي صور للكواكب، فقال إبراهيم: ﴿قَالَ أَفَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يَضُرُّكُمۡ ٦٦ أُفّٖ لَّكُمۡ وَلِمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾

(١) «المدارج» (٣/ ٤١٧).

[الأنبياء:٦٦-٦٧]. وهذا عام في كل ما يعبد من دون الله تعالى.

وقال تعالى في اليهود الذين يعبدون عزيراً، وفي النصارى الذين يعبدون المسيح والصالحين: ﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ ﴾ [التوبة:٢٩] إلى قوله: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾ [التوبة:٣١]، فجعل عبادة الأنبياء والصالحين مثل عبادة الأوثان، ووصف اليهود والنصارى بأنهم لا يؤمنون بالله تعالى واليوم الآخر، وما ذلك إلا لوقوعهم في الشرك، ومخالفة أمر الله تعالى لهم بتوحيده في العبادة، ثم نزه نفسه عن شركهم.

ليت عُبَّاد القبور يتأملون هذه الآيات لعلهم يتركون شركهم عند الأضرحة والقباب، سبحان الله عما يشركون!

وفي قصص الأنبياء من بيان هذا الشيء الكثير.

٦- بيان لأفراد أنواع الشرك؛ كدعاء غير الله تعالى، والالتجاء إليهم بقصد الشفاعة والذبح لهم والنذر لهم.

قال تعالى: ﴿فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا﴾ [الجن:١٨]، وسمَّى من دعا غيره مشركاً وكافراً إلى غير ذلك.

وقال تعالى في بيان سبب شرك المشركين: ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ ﴾ [الزمر:٣]، ﴿ وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ [يونس:١٨].

وهذا كقول عُبَّاد القبور، فنعوذ بالله من الخذلان!

٧- ضرب الأمثال في بيان حال المشرك وحال الموحد؛ كقوله تعالى: ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا رَّجُلٗا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلٗا سَلَمٗا لِّرَجُلٍ هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًا ﴾ [الزمر:٢٩].

فالأول مثل عبادة المشركين حيث زعموا أنها: لله ولآلهتهم.

والثاني مثل التوحيد، فإذا كان أحدهم لا يرضى أن يكون له مملوك ومعه فيه شركاء مختلف معهم، فكيف يرضى أن يشرك مع الله تعالى غيره.

٨- بيّن ذلك بأن العقل الصحيح ينكر الشرك، كقوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمۡثَالُكُمۡ ﴾ [الأعراف:١٩٤]. ﴿ أَيُشۡرِكُونَ مَا لَا يَخۡلُقُ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ ﴾ [الأعراف:١٩١].

﴿ لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ [الأنبياء:٢٢]. ﴿ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ٦١ ﴾ [العنكبوت:٦١].

أي: إذا كنتم تقرُّون بأن الله تعالى هو الرب الخالق المدبر، فكيف تعبدون غيره؟!

والأساليب في القرآن والسنة كثيرة جداً، ولكن أكثر الناس لا يتدبرون.

السابعة: في شُبهة الشيطان التي تمسك بها عُبَّاد القبور والأولياء:

قالوا: الالتجاء إلى الصالحين ليس بشرك، إنما هو تعظيمٌ للصالحين، ومحبة فيهم، فلهم منزلة رفيعة عند الله تعالى، ونحن نقصدهم ليشفعوا لنا عند الله تعالى.

فإذا سمعوا مَنْ ينكر عليهم الشرك عند القبور قالوا: هذا يتنقَّص الصالحين.

والجواب: إذا كان تعظيم الصالحين يعني صرف العبادة لهم، فإن هذا الفعل فيه تنقُّص لله تعالى؛ لأنك جعلت لله تعالى شركاء يُعبدون معه، فسويت المخلوق بالخالق سبحانه وتعالى، فكيف إذا أُضيف إلى هذا أن القبورية يصفون معبوداتهم بصفات الربوبية؛ كتدبير الأمر، وإغاثة الملهوف، والنفع، ودفع الضر.

ويُقال لهم: تعظيم الصالحين وقصدهم للشفاعة هو عينه فعل المشركين القدامى،

﴿ وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ [يونس:١٨].

ويُقال: إن إنكار عبادة الصالحين مع الله سبحانه، وهدم القباب التي على قبورهم، ليس تنقُّصاً لهم ولكنه تعظيمٌ لله تعالى أن يُعبد معه أحد، ويشرك بالله عز وجل بغير حق، والصالح الذي يستحق شرعاً الوصف بالصلاح لا يرضى أن تعبدوه مع الله تعالى؛ لأنه يبغض الشرك وأهله، وسيتبرأ منكم في الآخرة، فالصالح لا يرضى أن يُتخذ وثناً يُعبد، بل حتى الأنبياء الذين بعثوا لمحاربة الشرك، هناك من يعبدهم وهم براء من ذلك، ألم تقرأ قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ﴾ [المائدة:١١٦].

﴿وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ شُرَكَآءَهُمْ قَالُوا۟ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا۟ مِن دُونِكَ فَأَلْقَوْا۟ إِلَيْهِمُ ٱلْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٨٦﴾﴾ [النحل:٨٦].

****

الأصل الثاني

[الاجتماع على الحق والنهي عن التفرق]

أَمَرَ اللهُ بِالاجْتِمَاعِ فِي الدِّيْنِ وَنَهَى عَنِ التَّفَرُّقِ فِيهِ، فَبَيَّنَ اللهُ هَذَا بَيَانًا شَافِيًا تَفْهَمُهُ الْعَوَامُّ، وَنَهَانَا أَنْ نَكُوْنَ كَالَّذِيْنَ تَفَرَّقُوْا وَاخْتَلَفُوْا قَبْلَنَا فَهَلَكُوْا، وَذَكَرَ أَنَّهُ أَمَرَ الْمُسْلِمِيْنَ بِالاجْتِمَاعِ فِي الدِّيْنِ وَنَهَاهُمْ عَنِ التَّفَرُّقِ فِيْهِ، وَيَزِيْدُهُ وُضُوْحًا مَا وَرَدَتْ بِهِ السُّنَّةُ مِنَ الْعَجَبِ الْعُجَابِ فِي ذَلِكَ، ثُمَّ صَارَ الْأَمْرُ إِلَى أَنَّ الافْتِرَاقَ فِي أُصُوْلِ الدِّيْنِ وَفُرُوْعِهِ هُوَ الْعِلْمُ وَالْفِقْهُ فِي الدِّيْنِ، وَصَارَ الْأَمْرُ بِالاجْتِمَاعِ فِي الدِّينِ لَا يَقُوْلُهُ إِلَّا زِنْدِيْقٌ أَوْ مَجْنُوْنٌ.

* * * *

مفرداته:

(شافياً) البيان الشافي: هو الذي لا يبقى معه خفاء ولا شك.

(السنة): المراد بها هنا: الأحاديث.

(أصول الدين): العقائد.

(وفروعه): الفقه، والأدب، وغير ذلك.

(العلم): معرفة الحق بدليله، والعمل به، والدعوة إليه.

(الفقه): الفهم والبصيرة.

(زنديق): يطلق على مَنْ لا يؤمن بالآخرة، وعلى الملحد، وتوسَّع بعضهم فأطلقها على المنافق، وعلى المرتد الذي يتظاهر بالإسلام.

المعنى الإجمالي:

أمر الله تعالى عباده بالاجتماع في الدين والاعتصام بحبله المتين؛ لأن في ذلك عزَّهم وثباتهم على دينهم، ونهاهم عن ضد ذلك وهو الاختلاف، ومخالفة الحق والتفرُّق في الدين بمفارقة الجماعة والعلماء الناصحين واتباع الآراء والأهواء، وإحداث البدع والأحزاب والتعصب للزعماء، كما فعل أهل الكتاب قبلنا، تفرَّقوا فهلكوا في وديان الضلالة والشرك والجهالة، وقد بيَّن الله تعالى ذلك بأساليب كثيرة وأدلة وفيرة في الكتاب والسنة.

ثم ضعف الناس، وحل الجهل، وكثرت البدع، وافترقت الأمة إلى فرق كثيرة حتى ظن بعض الناس أنه لا صلاح للأمة إلا بالفُرقة والتحزب، فإذا دعوا إلى الاجتماع على الحق رمُوا من دعاهم بالجهل والزندقة والجنون، وأنه يحارب الإسلام، ولا يفقه الواقع ... إلخ.

هكذا صار حال الكثير، فحسبنا الله ونعم الوكيل.

المسائل:

الأولى: وجوب الاجتماع على الحق:

دل على ذلك الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة وأئمتها، قال الله تعالى: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ﴾ [آل عمران:١٠٣].

وقال ابن جرير رحمه الله تعالى: «يريد تعالى ذكره: تمسكوا بدين الله الذي أمركم به وعهده الذي عهده إليكم في كتابه من الألفة والاجتماع على كلمة الحق، والتسليم لأمر الله»، [تفسير آية آل عمران السابقة].

وقال الشوكاني رحمه الله تعالى: «أمرهم سبحانه بأن يجتمعوا على التمسك بدين الإسلام وبالقرآن». [فتح القدير].

وقال النبي ﷺ: «إن الله يرضى لكم ثلاثاً – وذكر منها: وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا»، رواه مسلم[(١)].

الثانية: تحريم الفرقة والاختلاف

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ [الأنعام:١٥٩].

وقال ﷺ: «الجماعة رحمة، والفُرقة عذاب»، رواه أحمد[(٢)] عن النعمان.

وقال ﷺ: «لا تختلفوا؛ فإن من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا». البخاري[(٣)] عن ابن مسعود، والأدلة في هذا كثيرة.

قال ابن جرير رحمه الله تعالى: «فلا تفرقوا يا معشر المؤمنين في دينكم تفرُّق هؤلاء (أي: أهل الكتاب) في دينهم، ولا تفعلوا فِعْلهم، وتستنُّوا في دينكم بسنتهم، فيكون لكم من عذاب الله العظيم مثل الذي لهم». [تفسير آية آل عمران ١٠٥)].

الثالثة: أساليب القرآن والسنة في الحث على الاجتماع على الدين والنهي عن الاختلاف فيه:

١ – الأمر بالاجتماع والنهي عن الفُرْقة: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عمران:١٠٣].

٢ – التهديد بالعذاب لمن سعى بالفُرقة: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ١٠٥﴾ [آل عمران:١٠٥].

٣ – الأمر بإصلاح ذات البين: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ [الأنفال:١].

(١) (١٧١٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) (١٨٤٧٢) وصححه الألباني «الصحيحة» (٦٦٧).

(٣) (٢٤١٠).

٤- الأمر بالرجوع إلى الكتاب والسنة عند الاختلاف: ﴿وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ﴾ [الشورى:١٠].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩﴾ [النساء:٥٩].

٥- الأمر بلزوم الصراط المستقيم، والنهي عن سُبل التفرق: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٥٣﴾ [الأنعام:١٥٣].

٦- أن الأمر بلزوم الحق وترك التفرقة هو دين الرسل، كما أنه قوة لأهله، وإغاظة لأعدائهم: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ﴾ [الشورى:١٣].

٧- الحرص على الجماعة من الإيمان، والحرص على الفُرقة من البغي والعدوان: ﴿وَمَا تَفَرَّقُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۚ﴾ [الشورى:١٤].

٨- الجماعة مرحومة، وأهل الافتراق ضد ذلك: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخۡتَلِفِينَ ١١٨ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَۚ ١١٩﴾ [هود:١١٨-١١٩].

٩- البراءة ممَّن سعى في الفُرقة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍۚ﴾ [الأنعام:١٥٩].

١٠- أن الله تعالى يرضى الاجتماع على الحق والدين، ويكره الاختلاف والفرقة، قال ﷺ: «إنَّ الله يرضى لكم أن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا»، رواه مسلم(١).

(١) تقدم قريبًا.

١١- أن الجماعة في الجنة والفرقة في النار، قال ﷺ: «ستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فِرقة، كلها في النار إلا الجماعة»، رواه أبو داود[١] في معاوية رضي الله عنهما.

١٢- بيان عاقبة الجماعة وعاقبة الفُرقة: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡ﴾ [الأنفال:٤٦]، فعاقبة الجماعة العزَّة، وعاقبة الفُرْقة الفشل والذلة.

والأساليب في هذا كثيرة جداً، والأدلة الصحيحة جمٌّ كبير.

الرابعة: الفُرقة سمة أهل الأهواء والجهل؛ لأنهم فارقوا الحق والجماعة:

الغالب أن دُعاة الفُرْقة هم أهل البدع وأهل الجهل، وأن أتباع الهدى هم أهل العلم كما سبق في بعض الأدلة كآيتي الأنعام، وحديث معاوية وغيرها.

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: «ولهذا وُصِفت الفرقة الناجية بأنها أهل السنة والجماعة، وأما الفِرَق الباقية فإنهم أهل الشذوذ والتفرُّق والبدع والأهواء، وشعار هذه الفِرَق: مفارقة الكتاب والسنة والإجماع»[٢].

الخامسة: أسباب الافتراق:

١- الجهل، فهو أساس كل شر:

قال الشاطبي رحمه الله تعالى[٣]: «أصل حدوث الفرق إنما هو الجهل بمواقع السنة، وهو الذي نبَّه ﷺ بقوله: «اتخذوا رؤوساً جهالاً»[٤].

٢- ظهور البدع: ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام:١٥٣].

---

(١) (٤٥٩٧) وصححه الألباني والوادعي.

(٢) «الفتاوى» (٣/ ٣٤٥). [وقد ذكرنا هذا في كتابنا: «علامات أهل البدع»].

(٣) انظر [«الاعتصام» (٣/ ٢٤٢)].

(٤) تقدم الحديث.

فما من بدعة ظهرت إلا وجد لها أنصار وأتباع يتعصَّبون لها، ويُفارقون لأجلها الجماعة؛ كالقدرية، والرافضة، والخوارج، والجهمية، والأشاعرة، والصوفية، والحزبية، والتبليغ، والسرورية.

٣- اتباع الهوى: قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [ص:٢٦]:

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: «اتباع الظن وما تهوى الأنفس حتى يصير كثيرٌ منهم مديناً باتباع الأهواء»[١].

السادسة: علاج الفُرْقة:

أما علاجها كلها فلا يكون؛ لأن الله تعالى قد كتب ذلك وقدَّره، لكن نذكر الأسباب لعلاج الاختلاف والفُرْقة لا سِيَّما ما يقع عند من يريدون الحق:

١- الرجوع إلى الكتاب والسنة [كما سبق] بالرجوع إلى علماء السنة.

٢- ترك البغي ومخالفة الأهواء وأهلها، ومجانبة المبتدعة.

٣- نشر العلم الشرعي، وبيان أضرار وعواقب البدع والفتن.

٤- العدل في الأقوال والأحكام والحرص على الإنصاف: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ﴾

٥- قبول الحق ولو خالف العبد نفسه أو جماعته أو غير ذلك.

٦- نبذ أسباب الفُرْقة والاختلاف وحظوظ النفس.

٧- تقديم الحق وتعظيمه على المصالح والعصبيات. والله المستعان.

(١) (٢٢/ ٣٥٧). [وهناك أسباب كثيرة، انظر كتاب: «دراسات في أهل الأهواء» (١/ ٢٨٩-٣٨٣)].

السابعة: حال أهل البدع:

لقد صار أهل البدع مشغوفين بمفارقة ما خالف أصولهم ولو كان حقًّا، والناظر في سيرة القوم يرى ذلك جليًّا كما نقلنا نحوه عن شيخ الإسلام آنفاً حتى صار من يدعوهم إلى الاجتماع على الحق عندهم من أهل الجهل؛ لأنه لا يفقه ما هم عليه من البدع، أو لا يقرُّ بها، كعلم الكلام، وفقه الواقع الحزبي، وحقائق الصوفية، وجولات التبليغ.

هذه العلوم التي هي من أسباب الفُرْقة هي العلم الشريف عند القوم، وأما علمٌ ينهى عن هذا ويدعو إلى التزام الكتاب والسنة، فهذا عندهم جهلٌ أو جنون.

وربما وصل الأمر إلى من يحكم على صاحبه بالزندقة.

فالخوارج يكفرون من ينهى عن الخروج على الأمة والأئمة، والجهمية يكفرون من يثبت صفات الله تعالى، والمعتزلة يكفِّرون من خالفهم ويجعلونه في منزلة بين منزلتين، والأشاعرة يكفِّرون من خالفهم، والصوفية الغلاة يكفرون من أنكر وحدة الوجود، ويحكمون على علماء الأمة بالعامية؛ لأنهم لا يفقهون أو لا يعلمون بحقائق الصوفية التي غايتها وحدة الوجود.

والحزبية على نهج الخوارج، وأيضاً يحكمون على العلماء الكبار بالجهل وعدم معرفة الواقع، وأن علمهم قشور، وأن العلم: قضية الحكم والقصور والكراسي.

فحسبنا الله ونعم الوكيل، والله تعالى غالبٌ على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

وما أحسنَ قولَ الذهبي رحمه الله تعالى: «فقد – والله – عمَّ الفساد، وظهرت البدع، وخفيت السنن، وقلَّ القول بالحق، ولو نطق العالم بصدق وإخلاص لعارضه عدة من علماء الوقت، ولمقتوه وجهلوه، فلا حول ولا قوة إلا بالله»(١).

****

(١) [«السير» (١٤/ ١٦٦)].

الأصل الثالث

[في طاعة ولاة الأمر]

أَنَّ مِنْ تَمَامِ الاجْتِمَاعِ السَّمْعَ وَالطَّاعَةَ لِمَنْ تَأَمَّرَ عَلَيْنَا وَلَوْ كَانَ عَبْدًا حَبَشِيًّا، فَبَيَّنَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ هَذَا بَيَانًا شَافيًا كافِيًا بِكُلِّ وَجْهٍ مِنْ أَنْوَاعِ الْبَيَانِ شَرْعًا وَقَدَرًا، ثُمَّ صَارَ هَذَا الْأَصْلُ لَا يُعْرَفُ عِنْدَ أَكْثَرِ مَنْ يَدَّعِي الْعِلْمَ فَكَيْفَ الْعَمَلُ بِهِ؟!

❊ ❊ ❊ ❊

مفرداته:

(عبداً): العبد: المراد به هنا المملوك.

(حبشياً): من الحبشة.

(شافياً كافياً): وفي نسخة: (شائعًا ذائعاً) أي: منتشراً كثيراً حتى ذاع الخبر بين أكثر الناس.

(شرعاً): بالكتاب والسنة.

(وقدراً): بما قدَّره سبحانه من حال المسلمين وغيرهم عند الاجتماع على ولاتهم، وحالهم عند افتراقهم وتنازعهم من الضعف والفُرْقة والهوان.

المعنى الإجمالي:

من تمام وكمال الاجتماع على الدين ومن أعظم أسبابه هو الاجتماع على ولاة الأمر من المسلمين، والسمع لهم وطاعتهم في غير معصية الله تعالى، ولأهمية هذا الأمر فقد جاء الحث عليه في الكتاب والسنة وأجمع عليه علماء الأمة، وصار من أصول أهل السنة: الاجتماع على ولاة الأمر المسلمين، وحُرمة شق العصا عليهم، وأن من خالف ذلك كان في عداد المبتدعة.

فلما كثرت البدع، وظهرت الخوارج والرافضة والمعتزلة، كان من مناهجهم قتال الأئمة، وشق

عصا الأمة، وعارضوا بشبهاتهم ما جاء في الكتاب والسنة، وكثر جمعهم، وعمَّ فسادهم، حتى صار من أنكر عليهم جاهلاً أو عميلاً للظلمة، ولم يلتفوا إلى نتائج ضلالهم وتفتيتهم لعزة وكيان الأمة.

المسائل:

الأولى: في بيان معنى الإمارة:

الإمارة أو الإمامة: هي تدبير أمور الرعية (الدينية والدنيوية)، والحفاظ عليهم.

والإمام أو الأمير العام: هو الذي يقوم بالإمامة ولا أمير فوقه.

وإقامة الإمامة فرض واجب على الأمة يقوم به أهل الحل والعقد، ولا خلاف في الأمة في وجوب ذلك إلا من شذ من النجدات، وهم طائفة من الخوارج.

كما أجمعوا أنه لا يكون للأمة إلا إمام واحد، فإن تعدد الأئمة ولم ينقَدْ أحدهم للآخر وجب على كل أهل قُطْر أن يطيعوا أميرهم، وحكمه حكم الإمام، وذلك سداً لسفك الدماء، ومنعاً لازدياد انتشار الفوضى، وهذا مجمع عليه(١).

الثانية: فوائد الإمامة:

١ - أنها سبب لقيام الدين وصلاح الدنيا.

٢- إقامة الجهاد، وحماية البلاد، وتأمين السُّبُل.

٣- إنصاف المظلوم من الظالم، وقطع النزاعات.

٤ - سبب لتقليص البدع، ونشر السنن والعلم والدين.

٥ - إقامة الجمعة والجماعات، [وفوائدها كثيرة].

---

(١) [انظر: «الفتاوى» (٣٤/ ١٧٥)، «الدرر السنية» (٩/ ٥)] وغيرها.

الثالثة: في طُرُق ثبوت الإمامة:

* وذلك بثلاث طُرُق:

١- اختيار أهل الحلِّ والعقد كما حصل لأبي بكر رضي الله عنه.

٢- الاستخلاف، كما استخلف أبو بكر عمرَ رضي الله عنه.

٣- الغَلَبة على الإمامة بالسيف، كما حصل لبني مروان وبني العباس، وهذه الطريقة غير شرعية، ولكن الأدلة قاضية بوجوب السمع والطاعة للمتغلب؛ صوناً لدماء المسلمين، وقد بايع ابن عمر لعبد الملك بن مروان لما استتبَّ له الأمر.

وقال الإمام أحمد رحمه الله تعالى: «من غلبهم بالسيف حتى صار خليفة، فلا يحل لأحد أن يبيت ولا يراه إماماً؛ براً كان أو فاجراً»[(١)].

ونقل ابن حزم والقاضي والخطابي الإجماع على ذلك.

الرابعة: في وجوب السمع والطاعة لولاة الأمر:

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ [النساء: ٥٩].

وقال ﷺ: «على المرء السمع والطاعة فيما أحبَّ وكره إلا أن يؤمر بمعصية، فلا سمع ولا طاعة»، متفق عليه[(٢)] ابن عمر رضي الله عنهما.

ونقل الإجماع ابنُ أبي حاتم والأوزاعي وحرب والقيرواني وجمع غفير سواهم.

---

(١) [اللالكائي (٣١٧)].

(٢) (خ ٢٩٥٥) (م ١٨٣٩).

الخامسة: من السنة: احترام الأمراء، والدعاء لهم، وزجر من تعدى عليهم، وذلك داخلٌ في عموم طاعتهم.

قال ﷺ: «سيكون بعدي سلطان، فأعزُّوه[(١)]، من التمس ذلَّه ثغر ثغرة في الإسلام، ولم يقبل منه توبة حتى يعيدها كما كانت»، رواه ابن أبي عاصم[(٢)] عن أبي ذر، وصححه الألباني رحمه الله تعالى.

وقال بعض المتقدمين رحمه الله تعالى: «لا يزال الناس بخيرٍ ما عظَّموا السلطان».

السادسة: أساليب الحث على لزوم جماعة المسلمين وإمامهم:

١- الأمر بطاعتهم، والصبر عليهم، كما في الأدلة السابقة.

٢- جعل طاعتهم من طاعة الرسول ﷺ، قال ﷺ: «من أطاع أميري فقد أطاعني»، متفق عليه[(٣)] عن أبي هريرة رضي الله عنه.

٣- الأمر بلزوم جماعتهم، قال ﷺ: «ثلاث لا يغلُّ عليهن قلب امرئ مسلم ... ولزوم جماعة المسلمين، فإن دعوتهم تحيط من ورائهم»، رواه أحمد[(٤)] عن زيد بن ثابت رضي الله عنه.

٤- التحذير من الخروج عليهم، قال ﷺ: «من كره من أميره شيئاً فليصبر؛ فإنه من خرج من السلطان شبراً مات ميتة جاهلية»، متفق عليه[(٥)] عن ابن عباس رضي الله عنهما.

---

(١) وفي نسخة: (فأعزروه) وكلاهما بمعنى: عظموه.

(٢) في السنة (١٠٧٩).

(٣) (خ ٧١٣٧) (م ١٨٣٥).

(٤) (١٣٣٥٠) وصححه الشيخان.

(٥) (خ ٧٠٥٣) (م ١٨٤٩).

٥- ذمُّ الخارجين على الولاة: فقد سمى الخوارج: «كلاب أهل النار»، شرُّ قتلى تحت أديم السماء»[١]، «طوبى لمن قتلهم أو قتلوه»[٢].

٦- الأمر بالصبر عليهم وإن ظلموا، قال ﷺ: «إنكم سترون بعدي أثرة، وأموراً تنكرونها»، قالوا: فما تأمرنا يا رسول الله؟ قال: «أدُّوا إليهم حقَّهم، وسلوا الله حقكم»، رواه البخاري[٣] عن زيد بن وهب رضي الله عنه.

والأدلة في هذا الباب والأساليب الشرعية الآمرة بالصبر كثيرة.

السابعة: موقف أهل البدع من هذا الأصل العظيم:

أما الخوارج والمعتزلة والحزبية وزعمائهم، فيرون الخروج على الحكام والتشهير بهم، بل ومنابذتهم بالسيف علانية واستباحة سفك الدماء.

ويردُّون الأحاديث الواردة في طاعة ولاة الأمر، أو يتعسَّفون ويتكلفون تأويلها.

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: «صارت الخوارج يستحلُّون السيف على أهل القبلة حتى قاتلت عليًّا وغيره من المسلمين، وكذلك من وافقهم في الخروج على الأئمة بالسيف في الجملة من المعتزلة والزيدية والفقهاء وغيرهم»[٤].

ومن أجل تحقيق هذا طعنوا في العلماء والأمراء بأساليبَ خطيرة، ومن أنكر عليهم وصفوه بالبوائق العظام.

حسبنا الله ونعم الوكيل.

---

(١) رواه ابن ماجه (١٧٦) عن أبي أمامة رضي الله عنه.

(٢) رواه أبو داود (٤٧٦٥) عن أبي سعيد رضي الله عنه.

(٣) (خ ٧٠٥٢).

(٤) [«المنهاج» (٤/ ٥٣٦)].

الأصل الرابع

[في التفريق بين العلماء والمتشبهين بهم]

بَيَانُ الْعِلْمِ وَالْعُلَمَاءِ، وَالْفِقْهِ وَالْفُقَهَاءِ، وَبَيَانُ مَنْ تَشَبَّهَ بِهِمْ وَلَيْسَ مِنْهُمْ، وَقَدْ بَيَّنَ اللهُ تَعَالَى هَذَا الْأَصْلَ فِي أَوَّلِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ مِنْ قَوْلِهِ : ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ﴾ الآية [البقرة:٤٠]، إِلَى قَوْلِهِ قَبْلَ ذِكْرِ إِبْرَاهِيْمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ الآية [البقرة:٤٧].

وَيَزِيْدُهُ وُضُوحًا مَا صَرَّحَتْ بِهِ السُّنَّةُ فِي هَذَا مِنَ الْكَلَامِ الْكَثِيْرِ الْبَيِّنِ الْوَاضِحِ لِلْعَامِّيِّ الْبَلِيْدِ، ثُمَّ صَارَ هَذَا أَغْرَبَ الْأَشْيَاءِ، وَصَارَ الْعِلْمُ وَالْفِقْهُ هُوَ الْبِدَعُ وَالضَّلَالَاتُ، وَخِيَارُ مَا عِنْدَهُمْ لَبْسُ الحَقِّ بِالْبَاطِلِ، وَصَارَ الْعِلْمُ الذِي فَرَضَهُ اللهُ تَعَالَى عَلَى الخَلْقِ وَمَدَحَهُ لَا يَتَفَوَّهُ بِهِ إِلَّا زِنْدِيْقٌ أَوْ مَجْنُوْنٌ، وَصَارَ مَنْ أَنْكَرَهُ وَعَادَاهُ وَصَنَّفَ فِي التَّحْذِيْرِ مِنْهُ وَالنَّهْيِ عَنْهُ هُوَ الْفَقِيْهُ الْعَالِمُ.



مفرداته:

(الفقه) لغة: الفهم. اصطلاحاً: العلم بالأحكام الشرعية من أدلتها التفصيلية، وهذا يشمل علم الشرع كله.

(الفقهاء): جمع فقيه، المجتهد العالم بالأحكام الشرعية بأدلتها التفصيلية بفهمٍ صحيح. بمعنى: أن عنده علماً بالحكم الشرعي، وبدليله، وبأصول الفقه وقواعده.

(العلم): سبق بيانه. (العلماء): جمع عالم، وهو الراسخ في العلم الشرعي الذي تدور عليه الفتوى، العامل بعلمه، المتمسك بالحق.

(يتفوه): يفتح فمه بالكلام، المراد: يتكلم بجراءة.

المعنى الإجمالي:

إن بيان العلم والفقه النافع والعلماء والفقهاء الناصحين وصفاتهم وأعمالهم ورد في القرآن والسنة كثيراً واضحاً، وبأسلوب متنوع ميسر، كما ورد ذكر المتشبهين بالعلماء والفقهاء، وذكر صفاتهم وأحوالهم والتحذير منهم، وذلك ليعرف الناس العالم الفقيه فيرجعوا إليه للفتوى وأخذ العلم والفقه، وكذلك ليُعرف المتشبه بهم فيُحذر منه ومن فتنته أو بدعته وغروره.

فلما انتشر الجهل، وكثر المتعالمون (أدعياء العلم) وأهل البدع، وعلماء الأهواء، وعلماء الحكومات، والكُتَّاب والوُعَّاظ، واختلط الحابل بالنابل، وصار علم البدع؛ كعلم الكلام والتصوف والرفض والحزبيات ونحو ذلك، هو في نظر كثير من الناس هو العلم الشريف، فمن أنكره فقد طعن في العلم والعلماء وفي الشريعة، وهذا كفر وزندقة وجنون عند القوم.

وأما العلم الصحيح (علم التوحيد، والسنة، والحديث) فهذا عند كثير من المتعالمين والجهلة قشور، أو أمر غير مهم، والعلماء به في زوايا المساجد، علماء أحكام جامدون، لا يفقهون الواقع، ولا يقدرون على الفتوى في قضايا الأمة.

فسبحان الله! ما هذه الغرائب؟! وما هذا التلبيس على الناس؟!

ولكن من أنار الله تعالى بصيرته لم يختلط عليه هذا بهذا، كما لا يشتبه عليه الليل بالنهار، والنور بالظلام.

المسائل:

الأولى: في بيان فضل العلماء والفقهاء والمتمسكين بالدين:

قال تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة:١١]،

وقال ﷺ: «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين»، متفق عليه[١] عن معاوية رضي الله عنه.

قال تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [سورة آل عمران:١٨]

«هذه الآية دليل على فضل العلم، وشرف العلماء وفضلهم، فإنه لو كان أحدٌ أشرف من العلماء لقرنهم الله تعالى باسمه واسم ملائكته، كما قرن اسم العلماء».

الثانية: التشبه بالعلماء على أقسام:

الأول: التأسي بأهل العلم في هَدْيهم وسمتهم وأخلاقهم، والاستفادة منهم في ذلك، فهذا حسن، وقد قال النبي ﷺ: «اهتدوا بهدي عمار»[٢].

فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم   إن التشبه بالكـــرام فلاح

الثاني: التقليد لهم في كل شيء:

وهذا مذموم، إذ لا يؤخَذ من أحد كل قول وفعل إلا رسول الله ﷺ، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [الإسراء:٣٦]. ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ [سورة الأعراف:٣]

الثالث: التشبُّه بمعنى المحاكاة (فعل كفعلهم) في الاسم، كالعالم، أو المحدث، أو في المجالس؛

(١) (خ ٧١) (م/ الزكاة: ١٠٠).

(٢) رواه الترمذي (٣٦٦٣) وابن ماجه (٩٧) عن ابن مسعود رضي الله عنه وصححه الألباني.

كمجالس الفتوى، أو في المواقف كالتصدي في الحكم على الفتن الكبار والفتوى فيها، والتنظير فيها، والرجوع إليهم، وهكذا رد قول العالم بعبارة مغرورة؛ كقول: نحن نخالفه في كذا، عندنا علم ليس عنده.

وهذا هو المذموم، وصاحبه متعالم مغرور، ويصدق فيه قول النبي ﷺ: «أخوف ما أخاف على أمتي منافق عليم اللسان»، رواه أحمد[(١)] عن عمر، وهو حسن بشواهده. وهؤلاء ضررهم على الأمة كبير، وفسادهم عريض، فهم قُطَّاع لطريق الأمة إلى علمائها، ولا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم.

الثالثة: في ذكر المتشبهين بالعلماء[(٢)]:

١- القراء: ونعني بهم قُرَّاء القرآن الذين لا علم عندهم بمواقع السنن وفقه الشريعة، فهؤلاء ليسوا من العلماء، لكنهم إن اقتصروا على ما يحسنون، وذلك بتعليم القرآن، وحرصوا أيضاً على التلقي عن العلماء فهم في خير، وإنما قاصمة الظهر تجاوز الحدِّ، ومسابقة العلماء، لا سيما عند نزول المُدلهمات، وهؤلاء هم أشبه بحديث: «يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم»، متفق عليه[(٣)] عن أبي سعيد رضي الله عنه.

---

(١) (١٤٣) وصححه الألباني.

(٢) انظر: "قواعد التعامل مع العلماء" (٢٩-٤١)، "إقامة الحجة والدليل" (ص ٥٤-٥٥)، "القول الحسن في موقف المسلم من الفتن".

(٣) (خ ٣٣٤٤) (م ١٠٤٦).

٢- طالب العلم الذي لم يتمكن في العلم:

وهو على خير إذا عرف قدر نفسه، وشغلها بتحصيل العلم وفهمه، لكن العجب العجاب إذا تصدر قبل أوانه، وأطلق في تحرير القضايا الكبار قلمَه ولسانه، وتظاهر بالعلم والفطنة، وأكَّد ذلك بالمشلح والجُبَّة - فاللهم حوالينا ولا علينا.

وما أحسنَ ما قاله الذهبي رحمه الله تعالى: «قومٌ انتموا إلى العلم في الظاهر، ولم يُتقنوا منه سوى نزرٍ يسير أوهموا أنهم علماء فضلاء ... فنسأل الله النجاة والعفو»[(١)].

قال أحمد الأبار رحمه الله تعالى: «رأيت رجلاً بالأهواز حفَّ شاربه، وأظنُّه قد اشترى كتباً وتعبَّأ للفتيا، فذكروا له أصحاب الحديث، فقال: ليسوا بشيء. فقلت له: أنت لا تُحسن تصلي، فأيُّ شيء تحفظ عن رسول الله ﷺ إذا افتتحت الصلاة؟ فسكت ...»[(٢)].

وفي هؤلاء يصدق حديث زيد بن ثابت عن النبي ﷺ: «رُبَّ حامل فقه ليس بفقيه»، رواه أحمد[(٣)].

٣- الخطباء والوعَّاظ:

وهم على ثغرة من ثغور الإسلام لو اقتصروا على ما يُحسنون، لكن منهم من ينصب نفسه منصب العلماء والفقهاء، فقد أوجب بعضهم على نفسه التنظير، والسبق في التحليل والتقرير لكل نازلة، فهو ليس بحاجة في نظره إلى التؤدة حتى يسمع ما يقوله أهل العلم والفقه في الدين، لا سِيَّما إذا اقترن بتعالمه حقدٌ على العلماء أو استخفافه بهم لهوىً في نفسه أو بدعة تغللت في قلبه، أو جهل مركَّب امتزج بعقله.

---

(١) [«السير» (٧/ ١٥٣)].

(٢) [«الكفاية» للخطيب (٤، ٥)].

(٣) (١٣٣٥٠) وصححه الشيخان.

أما آن لخطباء المساجد وأصحاب الوعظ أن يعرفوا قدر أنفسهم، ولا يغرنَّهم قول العامة لهم: يا شيخنا، يا شيخنا.

قال ابن الجوزي رحمه الله تعالى: «كان الوعَّاظ من قديم الزمان هم العلماء والفقهاء، حتى إذا خسَّت هذه الصناعة، تعرَّض لها الجهال، فأعرض عن الحضور المميزون من الناس، وتعلق بهم العوام والنساء»[(١)].

قال ابن مسعود رحمه الله تعالى: «إنكم في زمان كثيرٌ علماؤه، قليل خطباؤه، وإن بعدكم زماناً كثير خطباؤه، والعلماء فيه قليل»[(٢)].

وقد قال ﷺ: «قبل الساعة سنوات خدَّاعة ... يتكلم فيها الرويبضة»، قيل: وما الرويبضة؟! قال: «السفيه يتكلم في أمر العامة»، رواه أحمد[(٣)] عن أنس رضي الله عنه.

فأين من يُسمَّون بالدعاة؟! وأصحاب الدعوة؟ أما آن لهم أن يعرفوا حقيقة قدرهم، فمنهم من يستحق لقب: «عامي»، ومنهم من قد يقال فيه: «طالب علم كثير الغلط»، ومنهم من يستحق وصف: «المتعالم الضال»، لكثرة إضلاله للناس بوعظه وهتافاته.

٤ - المفكرون والمثقفون والكُتَّاب:

فالمفكِّر والمثقف قومٌ أخذوا نُتفاً من العلم في المدارس والجامعات، واطلعوا على أشياء من ثقافة الغرب أو الشرق، ثم أخذوا في بيان معنى الإسلام والرد على الأديان الأخرى، فأحسنوا في أشياء وأساؤوا في أشياء، ومنهم من قفز إلى منصب العلماء، فأخذ يحرر قضايا الأمة ويسابق العلماء، كما حصل هذا لكثير من الأشاعرة أو الكُتَّاب المعاصرين، لا سِيَّما والجرائد

---

(١) [«تلبيس إبليس» (ص ١٢٧)].

(٢) [«الأدب المفرد» (٧٨٩)، صحيحٌ، قاله الألباني].

(٣) (١٣٢٩٨).

والمطابع تضخُّ كل ما يُلقى فيها، وغالب علماء وكُتَّاب أهل البدع المعاصرين من هؤلاء المذكورين، فلا عجب عندما تسمع منهم الفتاوى الزائفة والمقالات المتهافتة.

٥- علماء أهل البدع والحزبيات:

وغالب هؤلاء خطباء وكُتَّاب ومفكِّرون ومثقفون، وقَلَّ أن تجد في صفوفهم عالماً راسخاً، فإن وُجِد فقد طمستْ بصيرةَ قلبه البدعةُ، قال تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ﴾ [القصص:٥٠].

وقال ﷺ: «حتى إذا لم يُبْقِ عالماً، اتخذ الناس رؤوساً جُهَّالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلُّوا وأضلُّوا»، متفق عليه[(١)]. وقال الله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ [الجمعة:٥]. وقال: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ [الأعراف:١٧٥] الآية.

وما أكثر ما أحدثه علماء الضلالة من بدع وفتن! فهم الذين يُفتون الخوارج بسفك الدماء، وإثارة الدهماء، وهم الذين يُفتون بالبناء على القبور والالتجاء إليهم، وهم الذين يحذرون الأمة من علمائها الراسخين، وهم الذين يُفتون الظَّلَمة بما يُفتون.

٦- السحرة والمشعوذون:

فهم يتشبهون بأهل العلم، بل ويُسمَّون: بالعلم، أو الفقه، أو السيد، ونحو ذلك من الألقاب الضخمة.

وصاروا عند كثير من الناس خطباء ووعاظ، ويتولون العقود وتحرير الوثائق وقسمة التركات والفتوى وكتابة الحروز والعزائم، وصناعة السحر واستخدام الشياطين.

ولهذا قال قوم فرعون لموسى عليه السلام: ﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَ السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا

---

(١) تقدم.

﴿لَمُهْتَدُونَ ۝٤٩﴾ [الزخرف:٤٩]، يريدون: أيُّها العالِم؛ لأنه تقرر عندهم أن السحرة علماء، وظنُّوا موسى عليه السلام منهم، وقد كان هذا في أمَّتنا هذه لا يفرق بعضهم بين العالِم والساحر، فلما انتشر العلم ظهر الحق وزهق الباطل، ولله الحمد والمنَّة.

الرابعة: كيف يعرف العلماء[١]:

١- يُعرفون برسوخهم في العلم: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران:٧]، ﴿لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾ [النساء:١٦٢].

٢- باتصافهم بالتقوى والخشية: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر:٢٨].

٣- الرحمة بالأمَّة: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ۝١٠٧﴾ [الأنبياء:١٠٧].

٤- العمل بالعلم: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر:٩].

٥- رسوخ أقدامهم وثبات قلوبهم عند ورود الفتن والشُّبه: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ۝٢٧﴾ [سورة إبراهيم:٢٧]

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: «إن الراسخ في العلم لو وردت عليه شُبَهٌ بعدد أمواج البحر ما أزالت عنه يقيناً، ولا قدحت فيه شكًّا؛ لأنه قد رسخ في العلم، فلا تستفزُّه الشبهات، بل إذا وردت عليه ردَّها حرسُ العلم وجيشه مغلولة مغلوبة»[٢].

---

(١) انظر (ص ٢٥) من كتاب: "قواعد في التعامل مع العلماء" وغيره.

(٢) "مفتاح دار السعادة" (١/ ١٤٠).

الخامسة : في قصة بني إسرائيل :

ذكر الله سبحانه أنه أنعم عليهم بالرسل والكتاب، وأمرهم بالتوحيد والعمل والإيمان، فنبذوا ذلك وراء ظهورهم، ولبَّسوا الحقَّ بالباطل، ونشروا الباطل وكتموا الحق، وتلاعبوا بالفرائض والصلاة والزكاة، وأمروا الناس ونَسَوا أنفسهم... إلخ، فهذه هي أوصاف المتشبهين بالعلماء. أعاذنا الله تعالى من ذلك!

السادسة : في ضرر المتشبهين بالعلماء :

لما كثروا أفسدوا فِطَر العامَّة، وصوَّر لهم ما جاؤوا به من البدع والفلسفة الكلاميَّة والحزبية أنها العلم الصحيح والفقه المليح، ولبسوا على الأمة دينها، ثم شنُّوا الغارات البدعية والحرب الضَّروس على العلماء بالتنفير عنهم والطعن فيهم، وصوروا علمهم بأنه غير مُهم، وأن العلماء لا يهتمُّون بأمر الأمة ... فاحذرهم أيها المسلم، فإن المبتدعة دعاة إلى النار.

****

الأصل الخامس

[في بيان الأولياء والمتشبهين بهم]

بَيَانُ الله سُبْحَانَهُ لِأَوْلِيَاءِ الله وَتَفْرِيْقُهُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْمُتَشَبِّهِيْنَ بِهِمْ مِنْ أَعْدَاءِ الله وَالْمُنَافِقِيْنَ وَالْفُجَّارِ، وَيَكْفِيْ فِيْ هَذَا آيَةٌ فِيْ آلِ عُمْرَانَ وَهِيَ قَوْلُهُ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ الآية [آل عمران:٣١]، وَآيَةٌ فِيْ الْمَائِدَةِ وَهِيَ قَوْلُهُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ الآية [المائدة:٥٤]، وَآيَةٌ فِيْ يُوْنُسَ وَهِيَ قَوْلُهُ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [يونس:٦٢-٦٣]، ثُمَّ صَارَ الْأَمْرُ عِنْدَ أَكْثَرِ مَنْ يَدَّعِيْ الْعِلْمَ وَأَنَّهُ مِنْ هُدَاةِ الْخَلْقِ وَحُفَّاظِ الشَّرْعِ، إِلَى أَنَّ الْأَوْلِيَاءَ لَا بُدَّ فِيْهِمْ مِنْ تَرْكِ اتِّبَاعِ الرُّسُلِ وَمَنْ تَبِعَهُمْ فَلَيْسَ مِنْهُمْ، وَلَابُدَّ مِنْ تَرْكِ الْجِهَادِ، فَمَنْ جَاهَدَ فَلَيْسَ مِنْهُمْ! وَلَابُدَّ مِنْ تَرْكِ الْإِيْمَانِ وَالتَّقْوَى! فَمَنْ تَقَيَّدَ بِالإِيْمَانِ وَالتَّقْوَى، فَلَيْسَ مِنْهُم! يَا رَبَّنَا نَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ إِنَّكَ سَمِيْعُ الدُّعَاءِ.

❊ ❊ ❊ ❊

مفرداته:

(الأولياء): جمع وليٍّ، وأصل الولاية: المحبة والنصرة والموافقة.

والولي: هو الموافق لله تعالى في أمره ونهيه.

ويُراد بالولي: العالم بالله تعالى، المواظب على طاعته، المخلص في عبادته.

وقال ابن تيمية رحمه الله تعالى: «والولاية هي الإيمان والتقوى المتضمنة للتقرب بالفرائض والنوافل». فالولي: هو المؤمن التقيُّ.

(المنافقين): جمع منافق، مَنْ يُظهر الإسلام ويُبطن الكفر.

ويُطلق النفاق - أيضاً - على مخالفة الظاهر للباطن.

(الفجار): أصحاب الفجور، وهو: الميل عن الاستقامة إلى المعصية جهرة[(١)].

(يرتد): الردة: الرجوع من الإسلام إلى الكفر بالقول أو الفعل أو الاعتقاد[(٢)].

(التقوى): العمل بالكتاب والسنة إيماناً واحتساباً؛ رجاء ثواب الله تعالى ووقاية من عذابه.

(تقيد)، وفي نسخة (تعهَّد): حافظ وعمل وحرص.

المعنى الإجمالي:

ذَكَرَ الله تعالى صفات أوليائه الصادقين، وأن حقيقة الولاية: توحيد الله تعالى واتباع نبيه ﷺ، والحفاظ على أعمال الإيمان وأوصاف التقوى، مع ما رزقهم سبحانه من محبته ومحبة رسوله ﷺ ومحبة المؤمنين، والبراءة من الشرك وأهله، ومن البدع والعصيان.

وفرَّق الله سبحانه وتعالى بين أوليائه وبين المتشبهين بهم من المنافقين والضالين الذين يدعون الولاية والصلاح، وأعمالهم تخالف ذلك، إما بالشرك وإما بالبدع وإما بالعصيان، ووصل الأمر ببعض الصوفية إلى أن زعموا أن مَن بلغ رتبة الولاية واليقين سقط عنه اتباع المرسلين، وحلَّ له ما لا يحل لغيره من المسلمين، وأما من اتبعهم وعمل بطاعة الله تعالى فهذا عندهم ليس من الأولياء، بل من العامة، وأما أولياؤهم فهم الخاصة.

نسأل الله العفو والعافية، ونعوذ بالله من الضلال.

(١) "التعريفات الاعتقادية" (ص ٢٥٣).

(٢) "التعريفات" (ص ١٧٩).

المسائل:

الأولى: في صفات الأولياء المؤمنين:

١- التمسك بالسنة والثبات على توحيد الله تعالى: ﴿فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢﴾ [الزمر: ٢]، ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء: ١٢٥].

٢- اتباع الرسول ﷺ: ﴿فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١].

٣- محبة الله تعالى ورسوله ﷺ ومحبة المؤمنين ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤] الآية.

٤- الإيمان والتقوى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ۝٦٣﴾ [يونس: ٦٢-٦٣].

فالخليلان هما رأس الأولياء، وهكذا بقية الرسل والأنبياء، وهم دعاة التوحيد والدين.

الثانية: في صفات المتشبهين بالأولياء وليسوا منهم:

١- الوقوع فيما يناقض التوحيد: فابن عربي الذي كان يدّعي أنه خاتم الأولياء من كبار المشركين.

٢- الوقوع في البدع: كحال أولياء الصوفية وغيرهم ممن مارسوا ألوان البدع كالحكيم الترمذي والرفاعي والشاذلي.

٣- ممارسة المعاصي: فمنهم من ترك الصلاة، ومنهم من عرف بالفواحش، كما ذكر ذلك الشعراني في «طبقاته» وغيره.

٤- ترك الجهاد في سبيل الله تعالى: وهذا شأن أولياء الصوفية.

الثالثة: في معنى (الولي) عند المتصوفة:

عرفه الصوفية بما حاصله: أنه من تولاه الله تعالى ظهرت صفات الباري عليه، فهو عندهم يعلم الغيب ويدبر الأمر، ويغيث الملهوف.

وقال الشيخ مبارك الميلي في تعريف «الولي» عند الصوفية: «وأما الوليُّ عند الناس اليوم فهو إما من انتصب للإذن بالأوراد الطُّرُقية ولو كان في جهله بدينه مساوياً لحماره، وإما من اشتهر بالكهانة وتجاهر بترك الصلاة وأعلن شرب المسكرات، وإما من انتهى إلى مشهور بالولاية ولو كان إباحيًّا لا يحرم حراماً، فهم الأولياء عند الصوفية، مطالبون في كل شدة، ولكل محتمٍ بهم عدة، وهم حماة الأشخاص والقرى والمدن؛ كبيرها وصغيرها.

ويجب عندهم أن يكون علماء الدين خدماً لهؤلاء الأولياء، غير منكرين لشيء من أعمالهم، وإلا أُوذوا بضروب السباب، ومستقبح الألقاب»(١).

الرابعة: النبي أفضل من الولي:

قال الطحاوي رحمه الله تعالى: «ولا نُفضِّل أحداً من الأولياء على أحد من الأنبياء عليه السلام، ونقول: نبيٌّ واحدٌ أفضل من جميع الأولياء». اهـ

قال الشارح: يشير الشيخ رحمه الله تعالى إلى الرد على الاتحادية وجهلة الصوفية، وكثير من هؤلاء يظن أنه يصل باجتهاده في العبادة وتصفية نفسه إلى ما وصلت إليه الأنبياء من غير اتباع لطريقهم، ومنهم من يظن أنه قد صار أفضل من الأنبياء، ومنهم من يقول: إن الأنبياء والرسل إنما يأخذون العلم بالله من مشكاة خاتم الأولياء، ويدَّعي لنفسه أنه خاتم الأولياء، ويكون ذلك العلم هو حقيقة قول فرعون، لكن كان فرعون في الباطن أعرف بالله تعالى منهم، وهؤلاء ظنُّوا أن الوجود المخلوق هو الوجود الخالق؛ كابن عربي وأمثاله، وهو لما رأى

---

(١) "الشرك ومظاهره" (ص ١٢٢، ١٢٣)، "الصوفية في حضرموت" (ص ٧٦٢) وغيرها.

أن الشرع الظاهر لا سبيل إلى تغييره، قال: النبوة خُتِمت، لكن الولاية لم تختم، وادعى من الولاية ما هو أعظم من النبوة، وما يكون للأنبياء والمرسلين، وأن الأنبياء مستفيدون منها كما قال: مقام النبوة في برزخ ... فُويق الرسول ودون الولي

وهذا قلب للشريعة[١].

الخامسة: حكم بناء القباب على الأولياء والتبرك والاستغاثة بهم:

ليس من شرط الولاية بناء قُبَّة على قبره، فالصحابة رضي الله عنه هم سادات الأولياء بعد الأنبياء عليهم السلام، ولم يكن يُبنى على قبورهم بناء ولا قبة، لا سيما وأن الله تعالى الذي أكرم الأولياء بتوحيده وطاعته حتى صاروا أولياء، لم يشرع بناء القباب عليهم، بل حرَّمه؛ لأنه مدعاة إلى الشرك المخرج من الولاية، بل الإسلام والنبي ﷺ لعن من بنى على القبور، وبعث الجيوش لهدم القباب التي عليها كما ثبت في الصحيح[٢] عن علي، وجاء وخالد بن الوليد[٣] وغيرهما.

وهكذا التبرك بهم وأنهم يمنحون البركة شرك أكبر إذ لا يمنح البركة إلا الله تعالى.

والاستغاثة بهم سواء لطلب النفع أو دفع الضر شرك أكبر؛ لأنه صرفٌ للعبادة لغير الله تعالى: ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾[الجن:١٨].

وهو – أيضاً – شركٌ في الربوبية، إذ لا يملك النفع ودفع الضر إلا الرب سبحانه وتعالى.

وكون الولي لا خوف عليه ولا حزن – إن كان وليًّا عند الله تعالى – فهذا لا يعني أن يُعبد

(١) "الطحاوية" (٧٦٦-٧٦٨).

(٢) (م ٩٦٩) عن علي رضي الله عنه.

(٣) رواه أبو يعلى (٩٠٢) عن أبي الطفيل رضي الله عنه، وصححه الألباني والوادعي.

من دون الله سبحانه بالدعاء والنذر والذبح والالتجاء، ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا﴾ [النساء:٣٦].

فالواقع عند أكثر الناس الذين لم يُوفَّقوا للتوحيد والسنة أن الولي عندهم هو من أشرك بالله تعالى في قوله وعمله، أو أُشرك بالله سبحانه به عند قبره.

فحسبنا الله ونعم الوكيل، ونعوذ بالله من الخذلان والضلال، ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم.



الأصل السادس

[رد شبهة خطيرة وضعها الشيطان]

رَدُّ الشُّبْهَةِ التِيْ وَضَعَهَا الشَّيْطَانُ فِيْ تَرْكِ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ وَاتِّبَاعِ الْآرَاءِ وَالْأَهْوَاءِ الْمُتَفَرِّقَةِ الْمُخْتَلِفَةِ، وَهِيَ - أَيْ الشُّبْهَةِ التِيْ وَضَعَهَا الشَّيْطَانُ هِيَ - أَنَّ الْقُرْآنَ وَالسُّنَّةَ لَا يَعْرِفُهُمَا إِلَّا الْمُجْتَهِدُ الْمُطْلَقُ. وَالْمُجْتَهِدُ هُوَ الْمَوْصُوْفُ بِكَذَا وَكَذَا أَوْصَافًا لَعَلَّهَا لَا تُوْجَدُ تَامَّةً فِيْ أَبِيْ بَكْرٍ وَعُمَرَ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ الْإِنْسَانُ كَذَلِكَ فَلْيُعْرِضْ عَنْهُمَا فَرْضًا حَتْمًا لَا شَكَّ وَلَا إِشْكَالَ فِيْهِ، وَمَنْ طَلَبَ الْهُدَى مِنْهُمَا فَهُوَ إِمَّا زِنْدِيْقٌ، وَإِمَّا مَجْنُوْنٌ لِأَجْلِ صُعُوْبَتِهِمَا.

فَسُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ: كَمْ بَيَّنَ اللهُ سُبْحَانَهُ شَرْعًا وَقَدَرًا، خَلْقًا وَأَمْرًا فِي رَدِّ هَذِهِ الشُّبْهَةِ الْمَلْعُوْنَةِ مِنْ وُجُوْهٍ شَتَّى بَلَغَتْ إِلَى حَدِّ الضَّرُوْرِيَّاتِ الْعَامَّةِ، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف:١٨٧]، ﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٧ إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ ۝٨ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ۝٩ وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝١٠ إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ۝١١﴾ [يس:٧-١١]

آخِرُهُ، وَالْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِيْنَ، وَصَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيْمًا كَثِيْرًا إِلَى يَوْمِ الدِّيْنِ. تَمَّتْ بِحَمْدِ اللهِ.



مفردات الأصل السادس:

(الشبهة): القول الذي يوقع في اشتباه الحق بالباطل حتى لا ينكشف الحق ولا يظهر، ولا يتميز من الباطل.

(المجتهد المطلق): وهو الذي يستقل باجتهاده في الأصول والفروع والاستنباط من الأدلة، والتصحيح والتصنيف والترجيح في علوم الشريعة(١).

(الأذقان): جمع ذقن، وهو معروف.

(مقمحون): رافعو رؤوسهم، غاضوا أبصارهم، والمراد: بيان استكبارهم، فهم لا يخضعون للحق؛ لأن الله تعالى طبع على قلوبهم.

المعنى الإجمالي:

هذا الأصل في ردِّ شبهة انتشرت عند بعض الناس واشتهرت، وهي: «أن القرآن والسنة فيهما صعوبة لا يفهمها إلا أكابر العلماء، ذوو الاجتهاد المطلق في جميع علوم الشريعة، أما من دونهم فلن يفهموهما، وعليه فلا يجوز لهم الكلام في معانيها وأحكامها، فمن تجرَّأ وفسَّر منهما شيئاً فهذا عندهم زنديق أو مجنون.

أرادوا بهذه الشبهة سدَّ الباب على أهل العلم حتى إذا أنكروا عليهم شيئاً مما هم فيه من البدع والشركيات، وأورد الأدلة على باطلهم.

قالوا: أنت لا تفهم القرآن، أو: أنت تتكلم في القرآن برأيك، أنت زنديق... فإذا نجحت هذه الشبهة تمكَّنوا من صرف الناس عن القرآن والسنة إلى مذاهبهم وعقائدهم.

وهذه الشبهة مردودة بالقرآن والسنة والإجماع والواقع: قال تعالى: ﴿ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ [الزمر:٢٨]. ﴿ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [الزخرف:٣] أي: من أجل أن تفهموه. وقال: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ [القمر:١٧].

والنبي ﷺ قال: «إن الدين يسر»، رواه البخاري(٢).

(١) "القاموس المبين" (ص ١٩٧)].

(٢) (خ ٣٩).

وقال: «إن الله بعثني معلِّماً ميسراً»، رواه مسلم[١].

وأجمع العلماء على أن القرآن والسنة مفهومٌ معانيها، نقله شيخ الإسلام وغيره، والواقع يدل على ذلك، فإن الناس يقرؤون ويفهمون كلٌّ حسب علمه وفهمه، فظهر الحق وبطل ما كانوا يصنعون.

المسائل:

الأولى: في وضع الشبه:

من أساليب أهل البدع قديماً وحديثاً: وضع الشُّبه حتى يروج باطلهم ويخفى الحق على أتباعهم: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [البقرة:٤٢].

الثانية: في القول بمنع الاجتهاد:

وهذا القول مردود ومخالف للأدلة وما عليه جمهور العلماء، فإن الرسول ﷺ ذكر الحاكم، وقال: «إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران»، متفق عليه[٢] عن عمرو بن العاص رضي الله عنه، وهذا عام في كل زمان، لا دليل على تخصيصه.

الثالثة: في معنى: (شرعاً وقدراً، وخلقاً وأمراً):

شرعاً: في أدلة الشرع.

قدراً: فيما قضاه الله تعالى من وجود علماء وطلبة علم مجتهدين على مر العصور يفسرون القرآن والسنة، وهذه كتب التفسير وشروح الحديث تملأ المكتبات، ولا يزال يَفِدُ منها الشيء الكثير.

خلقاً وأمراً: أما الأمر فإن الشرع قد ورد بالأمر بالتعلم ونشر العلم.

وأما خلقاً: فلعل المراد (قدراً)، أو أن الله تعالى قدَّر خلق في كل زمان علماء مجتهدين، والله

---

(١) (م ١٤٧٨).

(٢) (خ ٣٥٧٤) (م ١٧١٦).

أعلم.

الرابعة: في بيان الشاهد من الآيات المذكورة:

أن فيها مثلاً للذي لا يتدبر معاني القرآن والسنة، وأنهم كمن قُيد ورُبِط بالأغلال، فلا حركة له قد سُدَّت عليه الطرق والحلول، وفي آخرها مثَل من تدبر القرآن والسنة وعمل بهما، واتبع الذكر (وهو القرآن والسنة).

إذاً: الاتباع إنما يكون بعد فهم المعنى، فأثمر له الاتباعُ الخشيةَ والمغفرة والأجر الكريم، فالحمد لله رب العالمين على تيسيره وامتنانه.

الخامسة: في أساليب رد هذه الشبهة:

١- الأمر بتدبر القرآن: ﴿لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [ص:٢٩].

٢- إرسال الرسول بلسان قومه ليفهموا مراده ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ﴾ [إبراهيم:٤].

٣- تيسير القرآن؛ لأنه عربي ﴿إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾ [الزخرف:٣].

٤- يسر ألفاظ القرآن والسنة ﴿وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ١٧﴾ [القمر:١٧].

٥- تكرار الأوامر والنواهي، والترغيب والترهيب، وما تكرر تقرر.

٦- الأمر بالاتباع، ولا اتباع إلا بعلم معاني القرآن والسنة ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ [الأعراف:٣].

السادسة : ختم المؤلف رسالته بحمد الله تعالى وشكره والصلاة والتسليم على رسوله ﷺ .

وهذا من حسن الخاتمة، ومن حسن التصنيف أن تبدأ بالحمد لله تعالى وبالصلاة على رسوله صلى الله عليه وسلم، وتختم بذلك.

تم التعليق مختصراً، والحمد لله أولاً وآخراً، وظاهراً وباطناً،

وصلى الله وسلم على محمد وآله وصحبه.

****

الفهرس

